فقال الاحنف الكبير اكثر عقلا ولكنه اشغل قلبا ولعمري لقد نجحض الاحنف عن
المعنى ونبه على العلة لان قواطع الكبير كثيرة فمنها ما ذكرنا من الاستحيا ومنها وفور
شهواته وتقسيم افكاره قال الشاعر

صرف الهوى عن ذي الهوى عز ان الهوى لتيسر له تيسير

وقال بعض البلغاء القلب اذا علق كالرهن اذا غلق ومنها الطوارق المزعجة والهموم
المذهلة وقد قال الحكيم الهم قيد الحواس وقال بعض البلغاء من لم اشده لاقى
من العيش اشده ومنها كثرة اشتغاله وترادف خلاله حتى انها لتستوعب زمانه
وتستنفد ايامه فان كان ذا رياسة الهته وان كان ذا معيشة قطعته ولذلك
قيل تفقهوا قبل ان تسودوا وقد قال بزرجمهر الشغل مجهدة والفراغ مفسدة

فينبغي لطالب العلم ان لا يني في طلبه وينتهز الفرصة به فربما شح الزمان
بما سمح وضن بما منح ويبتدي العلم من اوله ويأتيه من مدخله ولا يتشاغل بطلب
ما لا يضر جهله فيمنعه ذلك من ادراك ما لا يسع جهله فان لكل علم فضولا مذهلة
وشذوذا مشغلة ان صرف اليها نفسه قطعته عما هو اهم منها وقد قال ابن عباس
رضي الله عنه العلم اكثر من ان يحصى فخذوا من كل شي احسنه وقال المامون بن الرشيد
رحمهما الله ما لم يكن من العلوم بارعا فبطون الصحف اولى به من قلوب الرجال وقال بعض
الحكما اترك ما لا يعنيك لتترك لك ما يعنيك ولا ينبغي ان يدعوه ذلك الى ترك ما
استصعب عليه اشعارا لنفسه ان ذلك من فضول علمه واعذارا لها في ترك الاشتغال
فان ذلك مطية النوكى وعذر المقصرين ومن اخذ من العلم ما تسهل وترك منه ما تعذر
كان كالقناص اذا امتنع عليه الصيد تركه فلا يرجع الا خائبا اذ ليس يرى الا
ممتنعا كذلك العلم كله صعب على من جهله سهل على من علمه لان معانيه التي يتوصل
اليها مستودعة في كلام مترجم عنها وكل كلام مستعمل فهو يجمع لفظا مسموعا ومعنى
مفهوما فاللفظ كلام يعقل بالسمع والمعنى تحت اللفظ يفهم بالقلب وقد قال بعض
الحكما العلوم مطالع مقاطعها ثلاثة اوجه قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور فاذا
عقل الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه واذا فهم المعاني سقطت عنه كلفة
استخراجها وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها لان المعاني شوارد تضل بالاغفال

والعلوم

والعلوم وحشية تنفر بالارسال فاذا حفظها بعد الفهم انست واذا ذكرها بعد
الانس رست وقال بعض الحكما من اكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم واستفاد
ما لم يعلم قال الشاعر

اذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يستفد علما نسي ما تعلما
فكم جامع للكتب في كل مذهب يزيد مع الايام في جهلها عما

وان لم يفهم معاني ما سمع كشف عن السبب المانع منها ليعلم العلة في تعذر فهمها
فان بمعرفة اسباب الاشيا وعللها ترجع الى تلافي ما شذ وصلاح ما فسد وليس
تخلو السبب المانع من ثلاثة اقسام اما ان يكون لعلة في الكلام المترجم او لعلة
في المعنى المستودع او يكون لعلة من السامع المستخرج فان كان لعلة في الكلام
المترجم عنها لم يخل ذلك من ثلاثة احوال الحال الاولى ان يكون لتقصير اللفظ
عن المعنى فيصير تقصير اللفظ عن ذلك المعنى سببا مانعا من فهم ذلك المعنى وهذا
قد يكون من وجهين اما من حصر المتكلم وعيه واما من بلادته وقلة فهمه
والحال الثانية ان تكون لزيادة اللفظ على المعنى فتصير الزيادة علة
مانعة من فهم المقصود منه وهذا قد يكون من احد وجهين اما من هذر
المتكلم واكثاره واما لسوء ظنه بفهم سامعه والحال الثالثة ان يكون
لمواضعة يقصدها المتكلم فاذا لم يعرفها السامع لم يفهم معانيها فاما تقصير
اللفظ وزيادته فمن الاسباب الخاصة لا العامة لانك لست تجد ذلك عاما
في كل كلام وانما تجده في بعضه فان عدلت عن الكلام المقصر الى المستوفى وعن
الزائد الى الكافي ارحت نفسك من تكلف ما يكد خاطرك وان اقمت على
استخراجه اما لضرورة دعتك اليه عند اعواز غيره او لحمية داخلتك عند
تعذر فهمه فانظر في سبب الزيادة والتقصير فان كان التقصير لحصر والزيادة
لهذر سهل عليك استخراج المعنى منه لان ما له في الكلام محصول لا يجوز
ان يكون المحتمل منه اكثر من الصحيح وفي الاكثر على الاقل دليل وان كانت
زيادة اللفظ على المعنى لسوء ظن المتكلم بفهم السامع كان استخراجه
اسهل وان كان تقصير اللفظ عن المعنى لسوء فهم المتكلم فهو اصعب الامور

Copyright © King Saud University